

التحيز والمكون الحضاري للمدلولات:

التحيزات التي سنرصدها في هذا الفصل هي التحيزات الكامنة في كثير من المصطلحات التي نستخدمها في علومنا الإنسانية وفي وصفنا لواقعنا. ولنركز على المصطلحات التي نستوردها من الخارج ولم نَسْكُهَا أو ننحّتها بأنفسنا. وقد أدمنا تماماً عملية نقل المصطلحات دون إعمال فكر أو اجتهاد، ودون فحص أو تمحيص، وأصبحت العلوم الإنسانية العربية عقلها في أذنيها. . تنقل آخر ما تسمع بأمانة وموضوعية تبعثان على الضحك! ولهذا فقد الإنسان العربي الحديث القدرة على التعامل مع واقعه بكفاءة. أما من يدرك الواقع حق الإدراك ثم يصنّفه حسب مقولاته، ويسميه أسماء تتفق وهذا الإدراك فيمكنه الحركة فيه بقدر معقول من الحرية؛ إذ إنه سيراكم المعلومات داخل مقولاته وأطره هو، مما قد يزيد من قدرته على التنبؤ بمسار هذا الواقع، ويحسن من قدرته على التعامل معه.

وقد يمكن نقل الكلمات الدالة على الآلات أو الأشياء؛ لأن محيطها الدلالي محدّد للغاية، فحينما نقول «سيارة» أو «تليفزيون» فلا توجد صعوبة غير عادية في معرفة المقصود؛ لأن علاقة الدال بالمدلول واضحة ومحددة إلى حدّ كبير. فالدال بسيط، والمدلول نفسه محدود الدلالة، ولذا نظل الثغرة بينهما ضيقة. ويسري نفس الوضع على العلوم الطبيعية، فإن أشرنا إلى ظاهرة غليان الماء فمن المعروف أن درجة غليان الماء هي مائة درجة مئوية في ضغط جوي محدّد، والماء نفسه يمكن تعريفه برموز جبرية. ولذا فالتجربة العلمية مضبوطة إلى حدّ كبير، حيد فيها بعدا الزمان والمكان إلى حدّ ما، ولذا فإن نقل مصطلحات العلوم الطبيعية مسألة أكثر سهولة من نقل مصطلحات العلوم الإنسانية، ومع هذا. . فهي عملية محفوفة بالمخاطر والمزالق.

وحينما نتقل إلى العلوم الاجتماعية والإنسانية، فالصورة تصبح مركبة إلى أقصى حد للأسباب التالية:

١ - كل دال متجدّر في تشكيل حضاري فريد، له لغته المعجمية والحضارية الفريدة،